ساڤيا

فاطمة شرف الدين رسوم: مايا فداوي

ساشيا

فاطمة شرف الدين كاتبة ومترجمة لأدب الأطفال والناشئة، نُشر لها حتى اليوم أكثر من 120 كتابًا. حائزة جوائز ولوائح شرف عربيّة وعالميّة، من بينها 'جائزة اتصالات لكتاب الطفل'، فئة كتاب العام - اليافعين، عن كتاب 'كابوتشينو'، و'جائزة بولونيا' (Bologna Ragazzi New Horizon Award) عن كتاب 'لسانك حصانك'. تُنشَر كتبها في لبنان والإمارات ومصر وبلجيكا، وقد تُرجم بعضها إلى سبع عشرة لغة أوروبيّة وآسيويّة. تشارك في معارض كتب ومؤتمرات عربيّة وأوروبيّة عن أدب الطفل، كما تعطي ورش عمل للكتابة الإبداعية المتخصّصة بالأطفال والناشئة.

مايا فداوي، تخصّصتْ في الرسم والتصوير في الجامعة اللبنانية، وبدأت رسم كتب الأطفال عام 2004. رسمت لدى دور نشر في لبنان والأردن والمغرب والإمارات أكثر من 43 كتاباً معظمها للأطفال. فازت بثماني جوائز حتى الآن أهمها 'جائزة اتصالات لكتاب الطفل' لعامي 2014 و2017، و'جائزة محمود كحيل' عن فئة رسوم كتب الأطفال.

كريم وسلمى، ولداها، هما مصدر إلهامها، وكذلك مدينة بيروت، بكل الفوضى الموجودة فيها.

سباقيا

فاطمة شرف الدين

رسوم: مايا فداوي

الساقي

هذا الكتاب مُجاز لمتعتك الشخصية فقط. لا يمكن إعادة بيعه أو إعطاؤه لأشخاص آخرين. إذا كنت مهتمّاً بمشاركة هذا الكتاب مع شخصٍ آخر، الرجاء شراء نسخة إضافيّة لكل شخص. وإذا كنتَ تقرأ هذا الكتاب ولم تشتره، أو إذا لم تشتره لاستخدامك الشخصي، الرجاء شراء نسختك الخاصّة. شكراً لاحترامك عمل المؤلّف الشاق.

©دار الساقي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الورقية، ٢٠١٩

الطبعة الإلكترونية، ٢٠٢٢

الساقي

ISBN-978-614-03-0265-5

Published 2022 by Saqi Books

Saqi Books

26 Westbourne Grove, London W2 5RH, United Kingdom

Tel: +44 (0) 20 7221 9347; Fax: +44 (0) 20 7229 7492

e-mail: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني

www.daralsaqi.com

www.saqibooks.com

تابعونا على

@DarAlSaqi دار الساقي Dar Al Saqi Dar Al Saqi

إلى
نينو

مَكْتَبَةُ سافْيا

في قَلْبِ السُّوَيْدِ، بَيْنَ البَحْرِ وَالجِبالِ، وَقَليلًا إِلى الجَنوبِ، هُناكَ بَلْدَةٌ صَغيرَةٌ اسْمُها سافْيا. وَفي سافْيا، توجَدُ مَكْتَبَةٌ عامَّةٌ جَميلَةٌ تَلْفِتُ انْتِباهَ كُلِّ مارٍّ بِواجِهَتِها الزُّجاجِيَّةِ الَّتي تُطِلُّ عَلى السّاحَةِ وَالبُيوتِ مِنْ حَوْلِها.

هَذِهِ المَكْتَبَةُ هِيَ أَهَمُّ ما في البَلْدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلى السُّكّانِ. فَلا مَقاهِيَ أَوْ مَطاعِمَ أَوْ حَتّى مُتَنَزَّهاتٍ عِنْدَهُمْ. توجَدُ حَديقَةٌ صَغيرَةٌ ظَريفَةٌ فَقَطْ يَلْعَبُ فيها الأَطْفالُ، وَيَتَمَشّى فيها الكِبارُ حينَ لا يَكونُ الطَّقْسُ شَديدَ البُرودَةِ وَالثَّلْجُ لا يَمْلَأُ المَكانَ.

أَكْثَرُ ما يُحِبُّ أَطْفالُ ساقْيا هُوَ قَضاءُ أَوْقاتِ فَراغِهِمْ في المَكْتَبَةِ. أَمينَةُ المَكْتَبَةِ السَّيِّدَةُ نيلونْد، الَّتي يُنادونَها نينو، تَمْشِي ساعَةً مِنْ بَيْتِها لِتَصِلَ إِلى المَكْتَبَةِ، تَفْتَحُها وَتَنْتَظِرُ انْتِهاءَ دَوامِ المَدْرَسَةِ لِتَقْرَأَ القِصَصَ.

أَحْيانًا تَطْلُبُ نينو مِنْ بَعْضِ الآباءِ وَالأُمَّهاتِ أَنْ يَنْتَقوا قِصَصًا تُعجِبُهُمْ لِيَقْرَؤوها لِأَبْنَائِهِمْ وَبَناتِهِمْ. وَمَنْ مِنْهُمْ لا يُريدُ سَماعَ قِصَّةٍ، يَخْتارُ كِتابًا وَيَجْلِسُ في مَكانٍ مُريحٍ يَتَمَتَّعُ بِهِ.

مَنْ يَمُرُّ مِنْكُمْ بِساقْيا، يَلْحَظْ سلامًا يَعُمُّ هَذِهِ البَلْدَةَ الصَّغيرَةَ.

لَيْلَةُ الحَدَثِ

في مَساءِ يَوْمٍ سَماؤُهُ قَليلَةُ الغُيومِ وَقَمَرُهُ بَدْرٌ مُتَلَأْلِئٌ، يَدْعو ماكْس رِفاقَهُ لِيَقْضوا اللَّيْلَةَ عِنْدَهُ. هَذا مَسْموحٌ فَقَطْ في عُطْلَةِ الأُسْبوعِ. يَلْعَبونَ بِـ'الإكْس بوكْس'، وَيَتَناوَلونَ البَطاطا وَالدَّجاجَ المَشْوِيَّ وَقْتَ العَشاءِ. وَقْتَ النَّوْمِ، تَفْرِشُ أُمُّهُ أَرْضًا، عَلى جانِبَيْ سَريرِهِ، ثَلاثَةَ أَفْرِشَةٍ صَغيرَةٍ لِرِفاقِهِ، بيتِر وَجوسْتْيان وَطوماس.

بَعْدَما يُطْفِئُ ماكْس الأَنْوارَ، وَيفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ كُلُّ سُكّانِ سافْيا في مَنازِلِهِمْ، وَيَخْلُدُ الجَميعُ إِلى النَّوْمِ، يُلاحِظُ نورًا غَيْرَ اعْتِيادِيٍّ يَدْخُلُ غُرْفَتَهُ مِنْ نافِذَتِها.

يَقْعُدُ في سَريرِهِ كَيْ يَحْظى بِرُؤْيَةٍ أَفْضَلَ لِمَصْدَرِ النّورِ، فَيَرى أَطْرافَ أَلْسِنَةِ نارٍ. في الوَقْتِ نَفْسِهِ، يَسْمَعُ صُراخَ الجيرانِ، وَصَفّاراتِ سَيّاراتِ الإِطْفاءِ تَبْدَأُ بَعيدَةً وَتَقْتَرِبُ. بِقَفْزَةٍ واحِدَةٍ مِنْ فَوْقِ فِراشِ طوماس، يَصِلُ ماكْس إِلى النّافِذَةِ... 'المَكْتَبَةُ! إِنَّها تَحْتَرِقُ!'، يَصْرُخُ. يَنْهَضُ رِفاقُهُ مَفْزوعينَ، وَتَرْكُضُ أُمُّهُ إِلى غُرْفَتِهِ، يَتْبَعُها أَبوهُ وَأُخْتُهُ سونْيا وَأَخوهُ تشارْلي.

يَرَوْنَ سَيّاراتِ الإِطْفاءِ تَهْرَعُ إِلى المَكانِ بِصَفّاراتِها المُنْذِرَةِ... سُكونُ اللَّيْلِ يَتَحَوَّلُ خِلالَ دَقائِقَ إِلى صَخَبٍ مُرْبِكٍ يوقِظُ كُلَّ البَلْدَةِ.

لَوْ كُنْتَ طائِرًا تُراقِبُ ما يَحْدُثُ في بَلْدَةٍ ساقْيا مِنَ الأَعْلى، لَشاهَدْتَ السُّكّانَ واقِفينَ خَلْفَ نَوافِذِهِمِ المُطِلَّةِ عَلى واجِهَةِ المَكْتَبَةِ الزُّجاجِيَّةِ وَرِجالُ الإِطْفاءِ يَرْكُضونَ حَوْلَ المَبْنى الصَّغيرِ بِخَراطيمِ المِياهِ، يُحاوِلونَ إِخْمادَ النّيرانِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ. لَوْ كُنْتَ طائِرًا، لَشاهَدْتَ بَعْضَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ يَرْكُضونَ إِلى الشّارِعِ بِثِيابِ النَّوْمِ يَتَحَلَّقونَ عَلى مَسافَةٍ مِنْ سَيّاراتِ الإِطْفاءِ، بَعْضُهُمْ يَصيحُ وَبَعْضُهُمْ يَفْتَحُ فَمَهُ دونَ أَنْ يُصْدِرَ أَيَّ صَوْتٍ.

يَقِفُ ماكْس خَلْفَ نافِذَتِهِ، يُراقِبُ ما يَحْدُثُ بِرِفْقَةِ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ بِعُيونٍ مَفْتوحَةٍ وَأَفْواهٍ مَشْدوهَةٍ، غَيْرَ مُصَدِّقينَ ما يَرَوْنَ. يَنْدَفِعُ تِلْقائِيًّا يُريدُ أَنْ يَنْضَمَّ إِلى النّاسِ في الخارِجِ لَكِنَّ أُمَّهُ توقِفُهُ: 'اِبْقَ هُنا يا ماكْس. لَنْ يَخْرُجَ أَحَدٌ؛ مِنَ الخَطَرِ أَنْ نَقْتَرِبَ مِنَ المَكانِ الآنَ'.

يُشاهِدُ ماكْس رَفيقَتَهُ لوسي تَقِفُ خَلْفَ نافِذَتِها في بَيْتِها القَريبِ، تُشيرُ إِلى المَكْتَبَةِ مُمْسِكَةً بِكُمِّ قَميصِ أَبيها. ماكْس مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّها تَبْكي. هِيَ تَعْرِفُ، وَهُوَ أَيْضًا، أَنَّ كِتابَهُما المُفَضَّلَ 'التُّفّاحَةُ الحَمْراءُ' حَتْمًا قَدْ وَقَعَ عَنْ رَفِّهِ وَالْتَقَطَ شَراراتِ النّارِ.

وَهُوَ عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُ شاهَدَ الأَريكَةَ الحَمْراءَ الصَّغيرَةَ الَّتي يَخْتارُها دَوْمًا لِلْقِراءَةِ تَشْتَعِلُ وَتَبْدَأُ بِالتَّبَخُّرِ. يُفَتِّشُ عَنْ شاهِدٍ آخَرَ لِهَذا المَنْظَرِ، فَتَلْتَقي عَيْناهُ بِعَيْنَيْ أَخيهِ تشارْلي المُسَمَّرَتَيْنِ عَلى المَكْتَبَةِ أَيْضًا. ما رَأى ماكْس أَخاهُ الأَصْغَرَ مُتَأَثِّرًا إِلى هَذا الحَدِّ مِنْ قَبْلُ في حَياتِهِ، فَهُوَ دَوْمًا يَلْعَبُ دَوْرَ اللّامُبالي الهادِئِ. يَشُدُّ عَلى يَدِهِ ثُمَّ يَتَنَبَّهُ

إلى أَنَّ تشارْلي يَحْضُنُ بِذِراعِهِ الأُخْرى كِتابَ شَرائِطَ مُصَوَّرَةٍ اسْتَعارَهُ مِنَ المَكْتَبَةِ حَديثًا. 'عَلى الأَقَلِّ هَذا سَيَنْجو'، يَقولُ لَهُ غاصِبًا ابْتِسامَةً عَلى وَجْهِهِ. ماكْس يَعْرِفُ، لَكِنَّ تشارْلي لَمْ يعِ بَعْدُ أَنَّ باقي كُتُبِ الشَّرائِطِ المُصَوَّرَةِ الَّتي يُحِبُّها لَنْ تَنْجُوَ مِنَ اللَّهَبِ. أَمّا بيتِر وَجوسْتْيان، فَيَصيحانِ بِانْفِعالٍ وَهُما يُشيرانِ إِلى رَفٍّ مُشْتَعِلٍ، يَعْرِفانِ أَنَّ سِلْسِلَةَ الكُتُبِ الَّتي يَقْرَآنِها مُنْذُ مُدَّةٍ، 'وِكالَةُ جيري مايا لِلْمِباحِثِ'، تَكونُ عَلَيْهِ عادَةً. الكُتُبُ عَلى ذَلِكَ الرَّفِّ، كَما عَلى كُلِّ الرُّفوفِ، تَتَطايَرُ يَمينًا وَيَسارًا مِنْ قُوَّةِ اللَّهَبِ، ثُمَّ تَخْتَفي مَعَ ابْتِداءِ تَحَطُّمِ واجِهَةِ المَكْتَبَةِ الزُّجاجِيَّةِ. يَهْمِسُ أَبو ماكْس حينَ يَرى الِانْفِعالَ الشَّديدَ بادِيًا عَلى بيتِر وَجوسْتْيان: 'لا تَحْزَنا، كُلُّ شَيْءٍ يُعَوَّضُ؛ المُهِمُّ أَنَّنا بِخَيْرٍ وَأَنَّ الحَريقَ حَدَثَ لَيْلًا وَلَيْسَ خِلالَ وُجودِ النّاسِ في المَكْتَبَةِ '. يَتَنَهَّدُ بيتِر؛ كَلامُ الأَبِ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ بَعْضَ الشَّيْءِ. جوسْتْيان لا يَتَمالَكُ نَفْسَهُ... يُخَبِّئُ وَجْهَهُ بَيْنَ كَفَّيْهِ كَيْ لا يَرَوْا دُموعَهُ.

سونْيا تَحْضُنُ بِقُوَّةٍ لُعْبَةَ پيپي ذاتَ الشَّعْرِ البُرْتُقالِيِّ وَالجَديلَتَيْنِ الطَّويلَتَيْنِ، الَّتي اشْتَرَتْها لَها أُمُّها عِنْدَ زِيارَتِها الأَخيرَةِ إِلى مُتْحَفِ 'الجَبَلِ الصَّغير' في العاصِمَةِ ستوكْهولْم. فَهِيَ حَتْمًا مُقْتَنِعَةٌ بِأَنَّ كُتُبَ 'پيپي لونْغْستوكينْغْ' الَّتي تَعْشَقُها سَتَنْجو مِنْ هَذا الحَرِيقِ.

أَمّا ماكْس، فَيُفَكِّرُ في كِتابِ 'أليس في بلادِ العَجائِب'، وَفي كُتُبِ 'هاري بوتر'. يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ بِقُوَّةٍ وَيَتَمَنّى لَوْ كانَ لَدَيْهِ السِّحْرُ الَّذي يَمْتَلِكُهُ هاري وَرِفاقُهُ لِكَيْ يُعيدَ الزَّمَنَ وَيَحْمِيَ المَكْتَبَةَ مِنْ أَيِّ أَذىً.

تَتَذَكَّرُ والِدَةُ ماكْس 'الأَميرُ الصَّغيرُ'، الكِتابَ الَّذي قَرَأَتْهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثينَ مَرَّةً. لا تَعْرِفُ لِمَ تَتَذَكَّرُ العِبارَةَ التّالِيَةَ مِنْهُ: 'إِنَّ ما يَجْعَلُ الصَّحْراءَ جَميلَةً هُوَ أَنَّها تُخْفي بِئْرًا في ناحِيَةٍ مِنْ أَنْحائِها'.

كُتُبٌ، كَراسِيُّ، طَاوِلاتٌ، صَناديقُ أَلْعابِ التَّرْكيبِ... كُلُّ شَيْءٍ يَلْتَقِطُ اللَّهَبَ وَيَحْتَرِقُ كَالكَرْتونِ البُنِّيِّ الَّذي يَسْتَخْدِمُهُ والِدُ ماكْس لِإِشْعالِ نارِ الشِّواءِ في الأَيّامِ السَّعيدَةِ.

نينو

نينو، أَمينَةُ المَكْتَبَةِ الَّتي تَعْرِفُ كُلَّ كِتابٍ عَلى رُفوفِ مَكْتَبَةِ ساقْيا، تَقِفُ بِجانِبِ سَيّاراتِ الإِطْفاءِ، عاقِدَةً كَفَّيْها عَلى قَلْبِها، مَحْنِيَّةَ الظَّهْرِ مِنْ شِدَّةِ الِانْفِعالِ. كانَتْ لا تَزالُ في المَكْتَبَةِ وَقْتَ ابْتِداءِ الحَريقِ. يَلْمَحُها ماكْس مِنْ خَلْفِ شُبّاكِ غُرْفَتِهِ تَمْسَحُ وَجْهَها بِكَفِّها عِنْدَ إِخْمادِ أَواخِرِ شَرَرِ النّيرانِ. قَبْلَ اخْتِفاءِ خُيوطِ الدُّخانِ الأَخِيرَةِ وَاخْتِلاطِها بِالسُّحُبِ البَيْضاءِ القَليلَةِ في سَماءِ اللَّيْلِ، تَلْتَفِتُ نينو إِلى نَوافِذِ السُّكّانِ مِنْ حَوْلِ المَكْتَبَةِ، وَيَسْمَعونَها تَصيحُ لِأَهالي ساقْيا بِصَوْتٍ فيهِ بُحَّةٌ: ’سَوْفَ نُصْلِحُ أَضْرارَ الحَريقِ وَنُعيدُ مَكْتَبَتَنا بِأَقْصَرِ وَقْتٍ‘.

في السّاعاتِ الأَخيرَةِ لِتِلْكَ اللَّيْلَةِ، يَذْهَبُ الجَميعُ إِلى أَسِرَّتِهِمْ مُنْهَكينَ مِنْ وَقْعِ حادِثِ الحَريقِ. أَمّا ماكْس، فَيَبْقَى يُراقِبُ نينو مِنْ خَلْفِ شُبّاكِهِ. يَراها تَدْخُلُ إِلى المَكْتَبَةِ، تُلَمْلِمُ الكُتُبَ القَليلَةَ الَّتي نَجَتْ مِنَ النّارِ، وَتُراكِمُها فَوْقَ بَعْضِها بَعْضًا. حينَ تُكَدِّسُ عَشَراتِ الكُتُبِ، يَتَخَيَّلُها تَبْتَسِمُ لِلْمَرَّةِ الأولى تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

لَو زُرْتَ ساقْيا في الصَّباحِ التّالي، لَوَجَدْتَ الكِبارَ وَالصِّغارَ يَتَمَشَّوْنَ في شَوارِعِ البَلْدَةِ، يَحومونَ حَوْلَ الشَّريطِ الأَصْفَرِ الَّذي مَدَّتْهُ الشُّرْطَةُ حَوْلَ المَبْنى. هُمْ يُريدونَ اسْتِكْشافَ مَعالِمِ الحَريقِ، لَكِنَّهُمْ لا يَحْظَوْنَ إِلّا بِرُؤْيَةٍ مِنْ مَسافَةٍ لَيْسَتْ قَريبَةً جِدًّا مِنَ المَكْتَبَةِ.

16/3 = 4³(x+
10⁴/5 x
y(293-80
x+y=

يَوْمَ الإِثْنَيْنِ يَنْهَضُ الجَميعُ لِيَعودَ كُلٌّ إِلى حَياتِهِ اليَوْمِيَّةِ. الكِبارُ يَتَوَجَّهونَ إِلى أَعْمالِهِمْ وَالصِّغارُ إِلى المَدْرَسَةِ. وَنينو، مَاذا سَتَفْعَلُ؟ عَمَلُها في المَكْتَبَةِ، وَلا مَكْتَبَةَ هَذا الصَّباحَ! أَمْرٌ آخَرُ يَشْغَلُ بالَ ماكْس، وَلا شَكَّ أَنَّ الكُلَّ يُفَكِّرونَ في الأَمْرِ نَفْسِه دونَ أَنْ يَقولوهُ. بَدَلًا مِنَ الوَقْتِ الَّذي كانوا يَقْضونَهُ في المَكْتَبَةِ بَعْدَ المَدْرَسَةِ عادَةً، مَاذا سَيفْعَلونَ اليَوْمَ؟

رُغْمَ أَنَّها مُتْعَبَةٌ، حَزينَةٌ، وَيبْدو أَنَّها لَمْ تَنَمْ في اللَّيْلَتَيْنِ الأَخيرَتَيْنِ، تَحْضُرُ نينو لِتَزورَ التَّلاميذَ في المَدْرَسَةِ. تَدْخُلُ إِلى كُلِّ صَفٍّ وَتَقولُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ: ’لا بَأْسَ أَنْ نَشْعُرَ كُلُّنا بِالحُزْنِ وَالغَضَبِ لِما حَدَثَ لِمَكْتَبَةِ ساقْيا الجَميلَةِ، لَكِنَّنا لَنْ نَشْعُرَ بِاليَأْسِ أَوِ العَجْزِ؛ سَنَتَخَطّى هَذِهِ الأَزْمَةَ مَعًا‘.

’لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ ما سَبَبُ الحَريقِ! رُبَّما هِيَ جَريمَةٌ مُفْتَعَلَةٌ!‘، يَصيحُ ماكْس، وَيُعَلِّقُ بِالشَّيْءِ نَفْسِهِ تَلاميذُ كُثُرٌ مِنْ صُفوفٍ مُخْتَلِفَةٍ. رَدَّ نينو عَلى ذَلِكَ لا يَتَغَيَّرُ، جُمْلَتانِ لا ثالِثَةَ لَهُما: ’هَذا لَيْسَ مِنْ شَأْنِنا، إِنَّها مَسْؤولِيَّةُ شُرْطَةِ المَباحِثِ. وَإِنْ كانَتْ جَريمَةً، فَأَنا شَخْصِيًّا لا أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ مَنِ الفاعِلُ حَتّى حينَ يُكْشَفُ وَيُقْبَضُ عَلَيْهِ‘.

إِنْ كانَ بِإِمْكانِكَ الدُّخولُ إِلى رَأْسِ نينو، لَفَهِمْتَ لِماذا لا تُريدُ أَنْ تَكْتَشِفَ الشَّخْصَ الَّذي حَرَقَ المَكْتَبَةَ. فَهِيَ تَخافُ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ ذَلِكَ في شُعورِها تُجاهَ أُسْرَتِهِ. المُجْتَمَعُ الَّذي يَعِيشُ في ساقْيا صَغيرٌ وَكُلُّ الأُسَرِ فيهِ مُتَعارِفَةٌ وَمُتَحابَّةٌ. نينو لا تُريدُ أَنْ يَتَغَيَّرَ ذَلِكَ.

’كَيْفَ سَنَتَخَطّى الأَزْمَةَ يا نينو؟‘، تَسْأَلُ لوسي.

’سَوْفَ نُعيدُ إِنْشاءَ المَكْتَبَةِ مَعًا. هَذِهِ فُرْصَتُنا لِبِناءِ شَيْءٍ جَديدٍ، شَيْءٍ أَفْضَلَ. لَطالَما حَلُمْنا مَعًا بِغُرْفَةِ موسيقا وَغُرْفَةٍ لِعَرْضِ الأَفْلامِ وَغُرْفَةٍ لِلْفُنونِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ الآنَ سَنُحَقِّقُ ذَلِكَ في المَكْتَبَةِ الجَديدَةِ‘، تُجيبُ نينو بِصَوْتٍ فيهِ رَنَّةُ حَماسَةٍ توحي لَهُمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ.

حينَ يَسْأَلُها بيتِر: ’كَيْفَ يُمْكِنُنا أَنْ نُساعِدَ؟‘، تَبْتَسِمُ نينو وَتَقولُ: ’سَنُفَكِّرُ مَعًا‘.

في ذَلِكَ الصَّباحِ، حينَ يَسْكُتُ الجَميعُ لِيُفَكِّروا في كَلِماتِ نينو، يَتَنَبَّهونَ إلى زَقْزَقَةِ عَصافيرَ كَثيرَةٍ في الشَّجَرَةِ الكَبيرَةِ وَسَطَ مَلْعَبِ المَدْرَسَةِ. تَتَلاقى عُيونُهُمْ. يَبْتَسِمونَ. إنَّها بِدايَةُ الرَّبيعِ.

الخُطَّةُ

أَهَمُّ نُقْطَةٍ تُناقِشُها نينو مَعَ الصِّغارِ وَالكِبارِ هِيَ أَنَّ الوَسيلَةَ الأَسْرَعَ لِجَمْعِ الأَموالِ لِإِعادَةِ المَكْتَبَةِ هِيَ عَنْ طَريقِ تَنْظيمِ بازارٍ كَبيرٍ، حَيثُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِ ساقْيا يُساهِمُ بِما أَمْكَنَهُ.

ذَلِكَ المَساءَ، يَعودُ الجَميعُ إِلى بُيوتِهِمْ وَكُلٌّ يُنَفِّذُ الفِكْرَةَ الَّتي تَأْتيهِ. ماكْس يَفْتَحُ حَصّالَةَ نُقودِهِ وَيَجْمَعُ كُلَّ قُروشِهِ لِيَتَبَرَّعَ بِها. يَجْمَعُ أَيْضًا كُتُبًا قَرَأَها وَلَمْ يَعُدْ بِحاجَتِها لِكَيْ يَهَبَها لِلْمَكْتَبَةِ. أُخْتُهُ تَصْنَعُ الأَساوِرَ مِنَ الخيطانِ المُلَوَّنَةِ، وَأُمُّهُ تَشُكُّ الخَرَزَ لِصُنْعِ قِلاداتٍ لِلرَّقَبَةِ. أَبوهُ وَأَخوهُ يَصْنَعانِ الكَعْكَ وَالفوشارَ بِالكَراميلِ.

الأُسَرُ الأُخْرى تَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ في بُيوتِها.

لَوْ راقَبْتَ أَهالي ساقْيا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، لَتَخَيَّلْتَ نَفْسَكَ وَسَطَ خَلِيَّةٍ مِنَ النَّحْلِ مُتَحَمِّسَةٍ لِانْشِغالِها في صُنْعِ العَسَلِ دونَ مَلَلٍ وَلا تَعَبٍ، وَدونَ التَّوَقُّفِ لَوْ دَقيقَةً لِلِاسْتِراحَةِ.

يُحَدَّدُ يوْمُ الأَحَدِ التّالي يَوْمَ البازارِ الكَبيرِ. يَصِلُ كُلُّ أَهالي البَلْدَةِ إِلى السّاحَةِ وَيُرَتِّبونَ أَغْراضَهُمْ عَلى طاوِلاتٍ قَدْ هَيَّأَتْها لَهُمْ بَلَدِيَّةُ ساقْيا بِطَلَبٍ مِنْ نينو. يَعْرِضُ كُلُّ مُشْتَرِكٍ مُنْتَجاتِهِ وَمُقْتَنَياتِهِ. هُناكَ مَناديلُ مُطَرَّزَةٌ وَعَرائِسُ مِنْ قُماشٍ مَشْغولَةٌ يَدَوِيًّا. هُناكَ ثِيابٌ وَأَحْذِيَةٌ وَرَبْطاتُ عُنُقٍ قَدْ جَمَعَها الأَجْدادُ وَالجَدّاتُ مِنْ خَزائِنِهِمْ، أَشْياءُ يَمْلِكونَها مِنْ أَيّامِ الشَّبابِ وَما عادوا بِحاجَةٍ إِلَيْها اليَوْمَ. هُناكَ أَيْضًا مَنْ جَمَعَ

أَلْعابًا وَأَوانِيَ وَأَدَواتٍ مَنْزِلِيَّةً مُتَفَرِّقَةً قَدْ يَسْتَفيدُ مِنْها غَيرُهُمْ. وَمَنْ لَمْ يُحْضِرْ شَيْئًا لِأَنَّهُ لَيْسَ لَديْهِ شَيْءٌ يَهَبُهُ، يَقولُ لِنينو إِنَّهُ يَهَبُ وَقْتَهُ وَسَواعِدَهُ لِلْمُشارَكَةِ في إِصْلاحِ مَكْتَبَةِ البَلْدَةِ.

13.00 ₺

15¢

يَبْدَأُ البَيْعُ وَالشِّراءُ وَسَطَ موسيقا صاخِبَةٍ تَبُثُّها مَجْموعَةُ شُبّانٍ وَشابّاتٍ. البَناتُ يَشْتَرينَ أَساوِرَ وَقَلائِدَ، وَالصِّغارُ يَشْتَرونَ أَلْعابًا وَحَلْوىً، وَالشُّبّانُ وَالصَّبايا يُعْجَبونَ بِالثِّيابِ وَرَبْطاتِ العُنُقِ وَالأَحْذِيَةِ ذاتِ الموديلاتِ القَديمَةِ الَّتي صارَتْ نادِرَةً في هَذِهِ الأَيّامِ. الجَدّاتُ وَالأَجْدادُ وَسَطَ السّاحَةِ سَعيدونَ بِالحَدَثِ، حَتّى أَنَّ بَعْضَهُمْ يُشاهَدونَ وَهُمْ يَتَمايَلونَ عَلى أَنْغامِ الموسيقا.

نينو تَقِفُ جانِبًا تُراقِبُ المَشْهَدَ، تَبْدو سَعيدَةً وَنَوْعًا ما فَخورَةً، خاصَّةً بِالصِّغارِ المُتَحَمِّسينَ. بَعْدَ غُروبِ الشَّمْسِ بِقَليلٍ، وَبَعْدَما تَنْفَدُ كُلُّ المَبيعاتِ عَنِ الطّاوِلاتِ، يَتَقَدَّمُ كُلٌّ بِدَوْرِهِ مِنْ نينو، وَيَضَعونَ ما جَنَوْهُ مِنْ نُقودٍ في صُنْدوقٍ كانَتْ قَدْ هَيَّأَتْهُ لِلْمُناسَبَةِ، وَقَدْ كَتَبَتْ عَلَيْهِ: 'صُنْدوقُ خَيْراتِ سُكّانِ ساقْيا لِإِعادَةِ المَكْتَبَةِ إِلَيْها'. طَبْعًا، لا يَنْسى الصِّغارُ أَنْ يَضَعوا في الصُّنْدوقِ النُّقودَ الَّتي جَمَعوها مِنْ حَصّالاتِهِمْ. أَمّا الكُتُبُ الَّتي تَبَرَّع بِها الكِبارُ وَالصِّغارُ، فَقَدْ جَمَعَتْها نينو في غُرْفَةٍ جانِبِيَّةٍ في المَدْرَسَةِ، وَوَعَدَتْ بِمُفاجَأَةٍ قَريبَةٍ بِهَذا الخُصوصِ.

مَعَ انْتِهاءِ هَذا اليَوْمِ المُضْني، تَقِفُ نينو أَمامَ الجَميعِ وَتَقولُ: 'اليَوْمَ هُناكَ فِكْرَةٌ واحِدَةٌ كانَتْ تَحومُ في رَأْسي. حَتّى في غِيابِها، لا تَزالُ المَكْتَبَةُ هِيَ الَّتي تَجْمَعُنا في ساقْيا... اليَوْمَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ'.

الحافِلَةُ المُدْهِشَةُ

حينَ تَعِدُ نينو بِالشَّيْءِ، تَفي بِهِ، وَهِيَ قَدْ وَعَدَتْ بِمُفاجَأَةٍ. فَفي بِدايَةِ الأُسْبوعِ التّالي، بَعْدَما يَرِنُّ الجَرَسُ لِإعْلانِ انْتِهاءِ النَّهارِ الدِّراسِيِّ، يَخْرُجُ الصِّبْيَةُ وَالبَناتُ مِنْ صُفوفِهِمْ فَيَجِدونَ في باحَةِ المَدْرَسَةِ حافِلَةً لَمْ يَرَوْا لَها مَثيلًا مِنْ قَبْلُ، حافِلَةً مُلَوَّنَةً وَمُزَيَّنَةً بِرُسومِ كُتُبِهِمِ المُفَضَّلَةِ الَّتي قَدْ قَرَؤوها عَشَراتِ المَرّاتِ وَلَمْ تَعُدْ مَوْجودَةً بِسَبَبِ الحَريقِ.

’اُنْظُروا! هَذا بَرْتِلْ مِنْ قِصَّةِ نيلْزْ كارْلْسونْ!‘، يَصيحُ بيتِر وَهُوَ يَعْدو صَوْبَ الحافِلَةِ.

’وَهَذِهِ پيپي لونْغْستوكينْغْ‘، تَهْتِفُ سونْيا.

’واو! هَذا القِطُّ فينْدوسْ مِنْ سِلْسِلَةِ بِتِرْسونْ الَّتي قَرَأَتْ لَنا نينو بَعْضَ قِصَصِها‘، يَقولُ طوماس. ’ذاكَ هُوَ الأَميرُ الصَّغيرُ!‘، يَصْرُخُ أَحَدُهُمْ. هَكَذا، يَتَجَمَّعُ الأَطْفالُ حَوْلَ الحافِلَةِ مَدْهوشينَ بِالرُّسومِ الَّتي تُذَكِّرُهُمْ بِالكُتُبِ العَزيزَةِ عَلى قُلوبِهِمْ. كُلٌّ يُشيرُ إِلى شَخْصِيَّةٍ يَعْرِفُها وَكُلٌّ يَتَذَكَّرُ كِتابًا يُحِبُّهُ.

يَأْتيهِمْ صَوْتُ نينو مِنْ داخِلِ الحافِلَةِ يَدْعوهُمْ: ’اُدْخُلوا يا أَحْبابي! ماذا تَنْتَظِرونَ؟ هَذِهِ مَكْتَبَتُنا المُؤَقَّتَةُ. سَوْفَ نَقْرَأُ الكُتُبَ هُنا حَتّى إِصْلاحِ مَكْتَبَةِ ساڤْيا‘.

يُدْهَشُ الجَميعُ بِحافِلَةٍ ليْسَ فيها مَقاعِدُ، بَلْ مَليئَةٌ بِرُفوفٍ مِنْ كُتُبٍ تَبَرَّعوا بِها يَوْمَ البازارِ الكَبيرِ، وَكُتُبٍ قَدْ نَجَتْ مِنَ الحَريقِ، وَكُتُبٍ إِضافِيَّةٍ تَقولُ نينو إِنَّها جَمَعَتْها مِنْ تَبَرُّعاتِ مَكْتَباتٍ عامَّةٍ في بَلْداتٍ مُجاوِرَةٍ لِساڤْيا.

ذَلِكَ اليَوْمَ، وَفي الأَيّامِ الَّتي تَليهِ، تَقْرأُ لَهُمْ نينو الكُتُبَ وَتُتيحُ لَهُمُ اسْتعارَةَ ما يَرْغَبونَ فيهِ مِنْها.

تُخْبِرُهُمْ نينو حينَ يُلِحّونَ عَلَيْها بِأَسْئِلَتِهِمْ عَنْ سَبَبِ الحَريقِ أَنَّ شُرْطَةَ المباحِثِ لا تَزالُ تُحَقِّقُ في الحادِثِ. لَكِنْ تُطَمْئِنُهُمْ: ’أَنا شِبْهُ مُتَأَكِّدَةٍ أَنَّ الحَريقَ لَمْ يَكُنْ مُفْتَعَلًا. إِضافَةً إِلى ذَلِكَ، إِنَّ شَرِكَةَ التَّأْمينِ قَدْ عَوَّضَتْ جُزْءًا مِنَ المالِ لِبَلَدِيَّةِ ساڤْيا، سَنُضيفُهُ إِلى ما جَنَيْناهُ يَومَ البازارِ الكَبيرِ. العَمَلُ عَلى إِصْلاحِ المَكْتَبَةِ يَبْدَأُ غَدًا، وَسَتُضافُ إِلَيْها ثَلاثُ صالاتٍ بِهَنْدَسَةٍ جَديدَةٍ‘.

عِنْدَ ابْتِداءِ الأَعْمالِ، يَصيرُ شُبّانُ وَصَبايا البَلْدَةِ يَتَرَدَّدونَ عَلى المَكْتَبَةِ بَعْدَ دَوامِ المَدْرَسَةِ لِلْمُساعَدَةِ، خاصَّةً في تَرْكيبِ الرُّفوفِ وَدَهْنِها. أَمّا نينو، فَتَبْدو مَشْغولَةً جِدًّا في ذَلِكَ الوَقْتِ. قَبْلَ الظُّهْرِ تُنَظِّمُ أُمورَ المَكْتَبَةِ الجَديدَةِ مِنْ طَلَبِيّاتِ كُتُبٍ وَأَلْعابٍ تَثْقيفِيَّةٍ وَأَفْلامٍ وَأُسْطُواناتِ موسيقا وَأَدَواتٍ فَنِّيَّةٍ، وَبَعْدَ الظُّهْرِ تَكونُ دَوْمًا في حافِلَةِ الكُتُبِ لِتَقْرَأَ لِلْأَطْفالِ وَمَعَهُمْ.

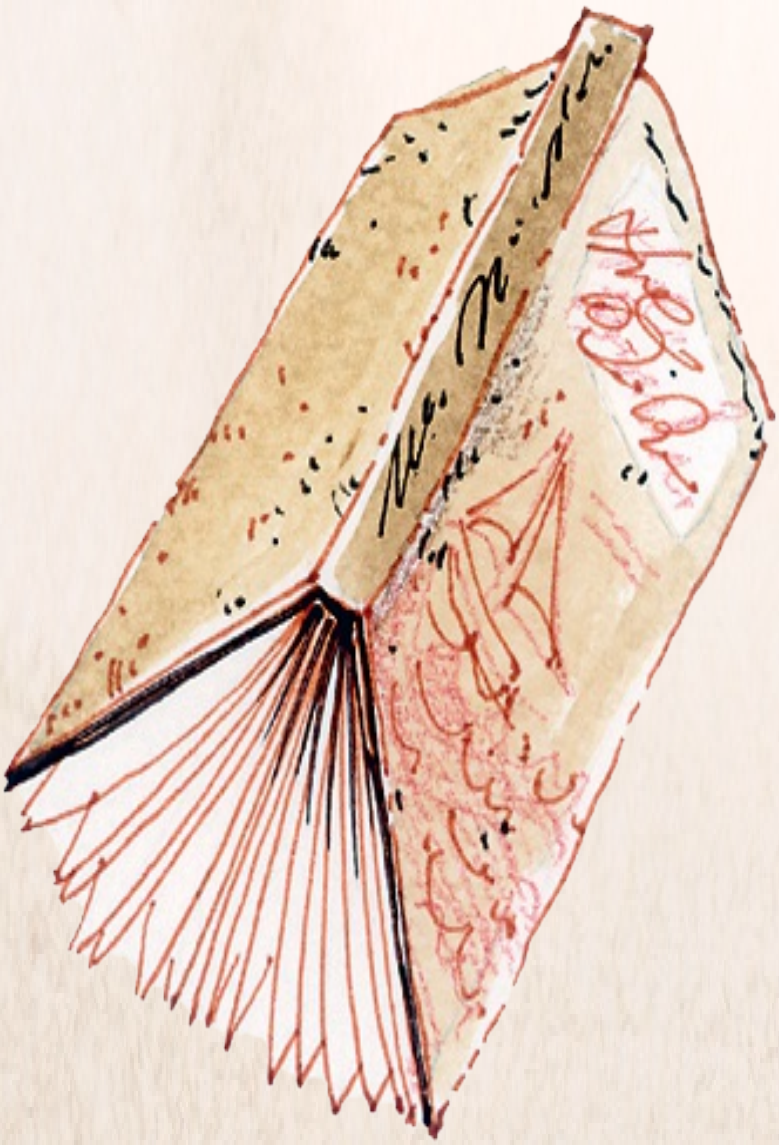

اليَوْمُ الكَبيرُ

تُحاوِلُ نينو الِانْتِهاءَ مِنْ وَضْعِ اللَّمَساتِ الأَخيرَةِ عَلى التَّرْتيباتِ وَالتَّجْهيزاتِ في المَكْتَبَةِ مَعَ حُلولِ الرَّبيعِ التّالي، إِذِ النَّباتاتُ قَدْ بَدَأَتْ تَمْتَلِئُ بِبَتْلاتِ الزُّهورِ، وَالحُقولُ قَدْ أَزالَتْ مِعْطَفَها الأَبْيَضَ لِيَحُلَّ مَحَلَّهُ العُشْبُ الأَخْضَرُ الطّازَجُ. وَحينَ تُقَرِّرُ مَوْعِدَ الِافْتِتاحِ، تُرْسِلُ الدَّعْواتِ إِلى كُلِّ الأُسَرِ في ساقْيا، وَإِلى رَئيسِ البَلَدِيَّةِ.

في اليَوْمِ الكَبيرِ، تُعِدُّ نينو الأَطايِبَ وَالعَصائِرَ لِتُضَيِّفَ الحُضورَ، وَلا تَنْسى الشَّريطَ الأَحْمَرَ الَّذي سَيَقُصُّهُ رَئيسُ البَلَديَّةِ ساعَةَ الِافْتِتاحِ. البَهْجَةُ تَعُمُّ المَكانَ، وَيعْلو التَّصْفيقُ حينَ يُقَصُّ الشَّريطُ الأَحْمَرُ وَيُسْمَحُ لِلسُّكّانِ بِالدُّخولِ إِلى المَكْتَبَةِ. أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُها هُمْ ماكْس وَرِفاقُهُ. يَتَنَقَّلونَ بَيْنَ رُفوفِ الكُتُبِ، يَتَفَحَّصونَ كُتُبَهُمِ المُفَضَّلَةَ، وَيَزورونَ الصّالاتِ المُخْتَلِفَةَ الَّتي حَدَّثَتْهُمْ عَنْها نينو: غُرْفَةَ الموسيقا وَغُرْفَةَ الأَفْلامِ وَغُرْفَةَ الفُنونِ.

ما لَمْ يَكُنْ في حُسْبانِ نينو هُما أَمْرانِ: الأَوَّلُ تَوْظيفُ مُساعِدٍ لَها في المَكْتَبَةِ، وَالثّاني هَدِيَّةٌ تَعاوَنَ عَلى شِرائِها أَهالي ساقْيا، وَهِيَ دَرّاجَةٌ زَرقاءُ اللَّوْنِ، لَوْنُ نينو المُفَضَّلُ، لِتَسْتَخْدِمَها بَدَلًا مِنَ المَشْيِ الطَّويلِ مِنَ المَكْتَبَةِ وَإِلَيْها. اليَوْمَ يَرى ماكْس ابْتِسامَةً لا تُفارِقُ وَجْهَ نينو... يَراها مُبْتَهِجَةً كَما لَمْ يَرَها مِنْ قَبْلُ في حَياتِهِ.

إِنْ ذَهَبْتَ يَوْمًا إِلى السُّوَيْدِ، تَوَجَّهْ إِلى قَلْبِ السُّوَيْدِ، وَقَليلًا إِلى الجَنوبِ. بَيْنَ البَحْرِ وَالجِبالِ، سَتَجِدُ بَلْدَةً صَغيرَةً اسْمُها ساقْيا. في ساقْيا، سَتَجِدُ مَكْتَبَةً عامَّةً كَبيرَةً وَجَميلَةً، فيها أَمينَةُ مَكْتَبَةٍ اسْمُها نينو، تَقْرَأُ الكُتُبَ لِأَطْفالِ البَلْدَةِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقصِدُ المَكْتَبَةَ.

حول الكتاب

نبذة

حريقٌ يصيبُ المكتبة العامّة في بلدةِ سافيا السّويدية.
مَن أحرقَ المكتبة وحرَمَ السُّكان مِنها؟
الكلّ كِبارًا وصِغارًا، حزين على الذكريات الجميلة التي تربطهم بها.
أما نينو، أمينة المكتبة، فنراها منشغلة بأمرٍ آخر...

عن المؤلف

فاطمة شرف الدين كاتبة أدب أطفال وناشئة، نُشر لها حتى اليوم 130 كتابًا. حائزة جوائز ولوائح شرف عربيّة وعالميّة، من بينها «جائزة اتصالات لكتاب الطفل»، فئة كتاب العام - اليافعين، عن كتاب «كابوتشينو». تُرجم الكثير من كتبها إلى لغات عدّة.